أثر ازدواجية اللغة على النمو اللغوي المعرفي النفسي لدى الطفل

(دراسة نقدية لبعض الدراسات)

بوزيد باعه صليحة

قسم علم النفس جامعة بجاية

salihabaa@yahoo.fr

ملخص: تلقت إشكالية ازدواجية اللغة اهتمام الباحثين من مختلف التخصصات العلمية، لأن الازدواجية ليست بظاهرة استثنائية كما كان يعتقد من قبل، بل هي تمس غالبية المجتمعات في العالم. وقد حاولت مختلف الدراسات التي اهتمت بهذه الإشكالية معرفة تأثير الازدواجية على نمو الطفل على مختلف مستوياته اللغوية، النفسية العاطفية والمعرفية، ويهدف هذا المقال إلى تقديم عرض نقدي لمختلف الدراسات التي أجريت حول آثار الازدواجية منذ بداية القرن العشرين إلى يومنا هذا، واستخراج تغير التصورات ووجهات النظر نحوها، مع ارتباط ذلك بشكل وطيد بتطور منهجيات وتقنيات البحث المستعملة.

Résumé: La problématique du bilinguisme a connu un intérêt important chez les chercheurs de différentes disciplines scientifiques, car le bilinguisme n'est pas un phénoimène exceptionnel mais un phénomène qui touche la majorité des populations du monde. Les études qui se sont penchées sur la question du bilinguisme ont essayé de cerner l'incidence de ce phénomène sur le développement de l'enfant, sur les plans linguistique psychologique affectif et cognitif. Cet article se propose de présenter une revue critique des recherches réalisées sur la question des effets du bilinguisme depuis le début du vingtième siècle à nos jours et de relever les changements des conceptions, changement étroitement lié au développement des méthodologies et techniques de recherche utilisées.

Scanned by CamScanner

مقدمة:

استقطبت دراسة مشكلة ازدواجية اللغة وآثارها على نمو الطفل اهتمام الباحثين من مختلف التخصصات العلمية، كاللسانيات، علم الأعصاب، علم الاجتماع، علم التربية وعلم النفس. وانشغل اهتمام كل تخصص بجوانب معينة من المشكلة، فقد اهتم اللسانيون بدراسة الجوانب اللغوية لظاهرة ازدواجية اللغات، أو تعددها. كما اهتم باحثون آخرون بالجانب السياسي لتواجد أكثر من لغة واحدة داخل وطن واحد، وذلك ما جلب اهتمام باحثين من بلدان مزدوجة أو متعددة اللغات مثل سويسرا، بلجيكا، لوكسومبورغ، بلاد الغال، إفريقيا الجنوبية، الهند وكندا.

أما علماء الاجتماع، فقد حاولوا تسليط الضوء على الجوانب الاجتماعية لاحتكاك اللغات بدراستهم التي خصت مجموعات المغتربين والأقليات. وانصبّ اهتمام علماء التربية على آثار الازدواجية على العمل الدراسي، النجاحات الفكرية والنضج والتأقلم مع المحيط الاجتماعي، بينما حاول علماء النفس اللغة اقتراح نظريات، وبناء نماذج تسمح بتوضيح ميكانيزمات ازدواجية اللغة. والكتب المنشورة حول الموضوع، والدراسات المقدمة حوله عديدة، لكنها لا تتفق في الخلاصات والنتائج المتوصل إليها. ويعود ذلك بالخصوص إلى تنوع الازدواجية وتعدد مفاهيمها.(Balkan, 1970, P7) وقد درست ظاهرة الازدواجية أيضاً في البلدان المعتبرة وحيدة اللسان كمشكلة اجتماعية ثقافية ترتبط بفئة المغتربين.

Scanned by CamScanner

وقد توصلت تلك الدراسات في مرحلة أولى إلى اعتبار الازدواجية ذات آثار سلبية على التحصيل الدراسي للأطفال، وعلى نموهم المعرفي، وتؤدي أيضاً إلى التهميش الاجتماعي. ولم تتغير هذه النظرة إلا في سبعينيات القرن الماضي، بفضل تطور الدراسات اللغوية والنفسية اللغوية حول الموضوع(Kail et Fayol, 2003, P 169).

وسنقوم فيما يأتي بعرض أهم الدراسات التي اهتمت بموضوع الازدواجية، محترمين في ذلك التدرج الزمني الذي يسمح لنا بالتمييز بين الدراسات التي أُجريت في النصف الأول من القرن العشرين، والتي أظهرت أغلبها الجوانب السلبية للازدواجية معتبرة إياها إعاقة عقلية، ولغوية، ومستعملة في بحوثها منهجيات وتقنيات غير دقيقة، والدراسات التي أُجريت ابتداءً من النصف الثاني من نفس القرن، خصوصاً من الستينيات إلى وقتنا الحاضر، بحيث أجريت تعديلات هامة في تحديد المفاهيم، واختيار التقنيات المناسبة في البحث مما سمح لها بتحديد الجوانب الإيجابية للازدواجية على مختلف جوانب نمو الطفل.

الدراسات التي أجريت خلال النصف الأول من القرن العشرين:

يمكن التمييز بين نوعين من الدراسات، أجريت كلها في النصف الأول من القرن العشرين، حيث اهتم النوع الأول بتقديم سيرورات شخصية لأطفال مزدوجين بشكل دقيق جداً، من بينها دراسة Ronjat عام 1913، ودراسة Léopold (1939 ــ 1949). أما النوع الثاني، فهي دراسات مقارنة بين السلوكات المدرسية لأطفال مزدوجين مع أطفال وحيدي اللسان، من بينها دراسة Saer (1923)، ودراسة Pintner (1932).

Scanned by CamScanner

1. 1. دراسة السيرورة الشخصية للأطفال مزدوجي اللغة:

كما ذكرنا سابقاً، أجريت مجموعة من الدراسات اهتمت بوصف دقيق للنمو اللغوي لأطفال مزدوجي اللغة، وتوصلت كل هذه الدراسات إلى أن الازدواجية لا تشكل أي خطر على النمو اللغوي، ولا المعرفي للطفل، بل هي مقيّدة لهذين الجانبين، وتأتي أهم هذه الدراسات فيما يلي:

ـــ دراسة Ronjat (1913): قام الباحث اللغوي الفرنسي بوصف النمو اللغوي لابنه Louis من الولادة إلى سن الخامسة تقريباً (4 سنوات و10 أشهر) وإتباعا لمبدأ الباحث Grammont M(1902) "شخص، لغة"، كانت الأم وهي ألمانية لا تتحدث إلا الألمانية مع الطفل، بينما يتحدث الأب، أي الباحث Ronjat، لغة المحيط أي الفرنسية. وحتى من كان يعمل في البيت (الخدم)، وهم ألمان وفرنسيون، كان كل واحد يتحدث لغته الأصلية مع الطفل. ويشير الباحث Ronjat أنه حتى وإن كان ابنه قد أظهر مَيْلاً إلى اللغة الألمانية حين كان عمره سنة وثمانية أشهر، إلا أنه حقق توازناً بين اللغتين عند سن الثالثة وسبعة أشهر، حيث كان يستعمل اللغتين كل واحدة بحسب المتحدثين معه، وكان نطقه لكلتا اللغتين يشبه نطق المتكلم وحيد اللسان. بذلك طوّر louis ازدواجية متوازنة، والتداخلات بين اللغتين قليلة جداً مع سهولة كبيرة في الانتقال من لغة إلى أحرى (Fuhrer-Nicod ,1994, p89).

Scanned by CamScanner

وتعتبر الباحثتان(1983) Hamers et Blanc أن دراسة Ronjat من بين الدراسات الرائدة في تقديم وصف دقيق للنمو اللغوي لطفل مزدوج يخلص فيها إلى أن الازدواجية لا تعيق بتاتاً النمو النفسي العام للطفل ولا النمو اللغوي أيضاً الذي يتم بشكل متوازن ومتناسق في اللغتين (Hamers et Hamers, 1983, P 71).

ـــ دراسة Léopold (1939-1949): تعتبر دراسة الباحث W. F-Léopold(1939-1949) المتكونة من أربعة أجزاء من أغنى الدراسات التي أجريت حول النمو المزدوج لدى الطفل. والباحث Léopold باحث لغوي أمريكي من أصل ألماني طبّق مع ابنته Hildegard مبدأ Grammont، ولكن بشكل أقل صرامة مما فعله Ronjat. فقد كان يتحدث مع ابنته اللغة الألمانية، وكانت الأم تتحدث معها اللغة الإنجليزية. وقد سجّل الباحث يوماً بعد يوم خلال سنتين النتاجات اللغوية لابنته. كما استمرّ في ملاحظة النمو اللغوي لابنته الكبرى Hildegard، والثانية Karla التي ولدت بعد 6 سنوات من ولادة الأولى، وذلك حتى سن 15 سنة. ويشير الباحث إلى أن التربية المزدوجة لم يكن لها أي تأثير سلبي على النتائج المدرسية لابنتيه، بل إن درجاتهما في اللغة الإنجليزية كانت أعلى من المتوسط.(Fuhrer-Nicod ,1994, p 90-91). ويضيف الباحث Perregaux (1994) بخصوص هذه الدراسة الوصفية أن الملاحظات التي قام بها الباحث Léopold كانت منتظمة خلال السنين الأولى، ثم صارت أقل انتظاماً حتى سن المراهقة. وقد تربّت البنتان في الولايات المتحدة، مما يفسر هيمنة اللغة الإنجليزية بشكل سريع، لأن كل المحيطين بالبنتين كانوا يتحدثون الإنجليزية، ماعدا

Scanned by CamScanner

الأب(الباحث). وبالرغم من وجود بعض الخلط بين اللغتين في بعض الأحيان، إلا أن الازدواجية لم تؤثر سلباً على النمو اللغوي أو المعرفي للبنتين (Perregaux, 1994, p 43).

وتعتبر هاتان الدراستان هامتين، بحيث سمحتا بتقديم وصف دقيق لمختلف مراحل النمو اللغوي لدى أطفال مزدوجين وُلِدوا وتربّوْا في محيط مزدوج، كما أنهما من أولى الدراسات التي أشارت إلى أن الازدواجية المبكرة لا تؤثر سلبياً على النمو اللغوي للطفل بل تُزوّده بفوائد لغوية قيّمة، منها القدرة على أخذ مسافة عن الكلمة، والتركيز أكثر على مضمون الرسالة وليس على شكلها. غير أن النتائج المتوصل إليها خصت حالات فردية، من الصعب تقييمها أو التأكد منها بشكل تجريبي فتبقى محدودة.

1. 2. الدراسات المقارنة:

بدأ التساؤل عند النوع الثاني من الدراسات التي عرفها النصف الأول من القرن العشرين، بشكل حقيقي حول آثار الازدواجية على النضج الفكري والتكيف الاجتماعي للفرد. وظهر ذلك ابتداء من سنة 1920، وساعد على ذلك ظهور مختلف الاختبارات الجماعية خلال الحرب العالمية الأولى وتطور استعمالها وانتشارها فيما بعد. وقد كان اهتمام الدراسات التي أجريت بين سنوات 1920 و1930، هو اهتمام تربوي قبل كل شيء، حيث يقدم الفهرس البيداغوجي المنشور عام 1960، مائة (100) دراسة طرحت مشكلة التكيف المدرسي لأطفال تختلف لغة تمدرسهم عن لغتهم الأم. وقد لاحظ المعلمون لمدة طويلة أن مستوى المزدوجين ضعيف، مقارنة بوحيدي اللسان، الأمر الذي أكدته الدراسات الأولى

Scanned by CamScanner

حول الموضوع، حيث كان الأطفال المزدوجون يحققون نتائج ضعيفة في الاختبارات الجزئية اللفظية لاختبارات القدرات الفكرية. لذلك أُعتُبِر هؤلاء الأطفال ضحايا إعاقة لغوية، كما استعمل بعض الباحثين لوصفهم مفهوم "الخلط العقلي" أي النمو العقلي الناقص (Balkan, 1970, p 9). وسنعرض فيما يلي أهم الدراسات التي نشرت خلال هذه الفترة الممتدة من بداية القرن العشرين إلى الستينات، والتي تشترك في كون أغلب النتائج تشير إلى العواقب السلبية للازدواجية، بينما تشير القليل منها إلى انعدام الفروق بين المزدوجين ووحيدي اللسان.

ـــ دراسة(1922-1923-1924) Saer: كان الباحث Saer أول الباحثين في استعمال الاختبارات لكن دون تحديد الشروط التجريبية، ودون التحكم في متغير المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأطفال. وقد خصت دراساته أطفال يتحدثون اللغة الإنجليزية والقالوية Gallois، وأطفال يتحدثون الإنجليزية فقط. وقد شملت الأولى والتي نشرت عام 1923، 1400 طفل تمّ اختيارهم كل سنة، منذ أن كانت أعمارهم 7 سنوات، وحتى سن 11 سنة. وأوضحت المقارنة بين المجموعتين، المزدوجة ووحيدة اللسان، تفوق وحيدو اللسان في كِلا قسميْ اختبار ستانفورد بيني، اللفظي وغير اللفظي. وأطفال كلتا المجموعتين ينتمون إلى الريف، بينما لم تبيّن نتائج الدراسة فروقاً بين الأطفال المزدوجين وغير المزدوجين الذين يعيشون في المدينة(Balkan,op.cit. , p 10).

Scanned by CamScanner

ـــ دراسة(1923) Garth: قام هذا الباحث بدراسة مقارنة ين أطفال مكسيكيين من جهة، وأطفال هنود يعيشون في الولايات المتحدة، وقد استوعبوا الثقافة الأمريكية. وأوضحت مقارنة النتائج المتحصل عليها في الاختبارات الأدائية ارتباطاً قوياً بين الدرجات المتوسطة للأطفال، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للمجموعة التي تتحدث اللغة الغالبة، ويظهر أيضاً أن استيعاب الثقافة لدى المفحوصين له اثر إيجابي على النتائج. ويوضح الباحث Balkan (1970) أن الدراسات التي أجريت خلال هذه الفترة(1920-1930) كانت معتبرة في الولايات المتحدة، وبيّن أغلبها انخفاض نتائج المزدوجين في الاختبارات اللفظية، خصوصاً لدى الأطفال الذين ينتمون إلى محيط يتحدث لغة أحرى غير اللغة الإنجليزية. ويفسر بعض الباحثين ضعف هذه النتائج، من بينهم(1928) Gareston، بالنقص الفكري. ويعترف آخرون منهم الباحث(1929) Bruner، بأن ذلك كان نتيجة متوقعة للتأخر في استعمال اللغة الإنجليزية أدت بالأطفال إلى الحصول على نتائج ضعيفة في الاختبارات اللفظية (Balkan, 1970, p11- 12).

ـــ دراسة(1932) Pintner: استعمل هذا الباحث اختباراته اللفظية وغير اللفظية مع مجموعتين، إحداهما وحيدة اللسان والأخرى مزدوجة اللغة تنتمي كلتاهما إلى ثلاث مدارس بمدينة نيويورك. وكانت النتائج غير متفقة، ففي واحدة من هذه المدارس كانت نتائج وحيدي اللسان مرتفعة، بينما كانت عكسية في المدرسة الثانية. وفي المدرسة الثالثة لم يجد الباحث فروقاً واضحة ذات معنى بين

Scanned by CamScanner

المجموعات، إضافة إلى أنه لم يتم التحكم في متغير المستوى الاجتماعي الاقتصادي، و لم يتم انتقاء المزدوجين إلا تبعاً للقب فقط Balkan, op.cit., p 13-(14).

ـــ دراسة Haught B.F: نشرت هذه الدراسة الزمانية سنة 1932، وقد تابعت أطفالاً من أصل مكسيكي منذ دخولهم إلى المدرسة الابتدائية الأمريكية حتى تخرجهم من المدرسة العليا، أي من 7 إلى 19 سنة. وقد كانت نتائجهم منخفضة مقارنة برفقائهم وحيدي اللسان من نفس القسم، وذلك سواء على مستوى العمل الدراسي في القسم، أوفي نتائج اختبارات الذكاء. وهذا الانخفاض في النتائج الذي يستمر حتى خلال المدرسة العليا، جعل الباحث يخلص إلى أن الأطفال المكسيكيين أقل ذكاءً من الأطفال الأمريكيين. لكن الباحث لا يشير في دراسته إلى الفروق الاجتماعية والاقتصادية بين المجموعات، كما أنه لم يوضح إذا كانت النتائج منخفضة أيضاً في الاختبارات غير اللفظية.(Balkan, 1970, p 14). ويعتقد الباحث Balkanأن هذه النتائج تجد تفسيراً لها في الوضعية التي فرضت على مغتربي أمريكا اللاتينية الذين كان أغلبهم مكسيكيين حيث يتم عزلهم في أحياء خاصة بهم، و لم تتح لهم فرص الالتقاء والتواصل خارج الحي، لذا يستمر أطفال هذه الأحياء في تحدّث الإسبانية مع عائلاتهم. وفي المدرسة لا يختلطون تماماً، إلا نادراً، بالأطفال الأمريكيين، وهذا ما جعلهم دون شك لا يستطيعون تحقيق

Scanned by CamScanner

اكتساب سريع لمعارف باللغة الإنجليزية. وهذه المعارف ضرورية لتجاوز الصعوبات التي تضعها بطارية اختبارات الذكاء(Balkan, 1970, p 14).

- دراسة(1937) Seidl: وقد توصل الباحث إلى نتائج مرتفعة في الاختبارات اللفظية الجزئية لاختبار ستانفورد بيني لدى العينة وحيدة اللسان، بينما حققت المجموعة المتكونة ممن اعتبروا بالمزدوجين، على نتائج أحسن من المجموعة الوحيدة اللسان في السلم الأدائي لـــقرايس أرتور "Echelle de Grace Arthur". وقد كوّن الباحث مجموعتي البحث اعتماداً على استمارة، دون أن يوضح المعايير التي استعملها لتعيين المزدوجين، كما تحكّم الباحث في متغيري السن والجنس، و لم يتحكم في المستوى الاجتماعي الاقتصادي.(Balkan, op.cit, p 17- 18).

- دراسة Seth Arsenion: نشر الباحث دراستين سنة 1937 خصت 469 تلميذاً يهودياً ولدوا في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت لهم فرصٌ للاحتكاك بالأطفال الذين يتحدثون اللغة الإنجليزية، قبل سن المدرسة. وقد قدّم لهؤلاء الأطفال قصد ملئه جدول الازدواجية "لهوفمان". وتمّ اختيار 20% من هؤلاء المتحصلين على أحسن النتائج ليكوّنوا مجموعة المزدوجين المتفوقين(يهودية- ألمانية- إنجليزية)، ونفس الشيء بالنسبة لمجموعة ذوي الدرجات الدنيا في الجدول(الضعفاء)، فقد شكلوا مجموعة المزدوجين الضعفاء. وقام بعد ذلك الباحث بمقارنة معدلات الذكاء(I Q) اللفظية وغير اللفظية للمجموعتين، ولاحظ

Scanned by CamScanner

عدم وجود فروق ذات شأن بينهما. وخلص بعد ذلك إلى أنه لا توجد علاقة بين درجة الازدواجية والنتائج في اختبارات الذكاء (Balkan, 1970, p 20).

ـــ دراسة (1943) Spoerl D.T: كان هدف الباحثة في هذه الدراسة تحديد تأثير ازدواجية اللغة على التكيف العاطفي والتعريف الاجتماعي للأفراد، وكذلك تأثيرها على نمو ذكائهم وعلى نجاحهم الجامعي. وخصت الدراسة مجموعة من طلبة المعهد العالمي الأمريكي في ماساشوسيت (Massachusetts). وقد تم تطبيق اختبارات ستانفورد بيني Binet-Stanford لسنة 1937(الشكل A) والطبعة الإنجليزية لاختبار « Perdue Placement Test وذلك على كلتا المجموعتين، التجريبية والضابطة، كما تم دراسة النتائج الدراسية لهؤلاء الطلبة خلال كل مرحلة دراستهم. وتقول النتائج المحصّل عليها إنه لا توجد فروق واضحة بين المجموعة المزدوجة ووحيدة اللسان في سُلّم بيني ستانفورد بينما تحصل المزدوجون على نتائج أحسن من وحيدي اللسان في الاختبار الثاني بالإنجليزية، كما أوضح فحص النتائج الدراسية ابتداءً من المدرسة العليا للأشبال أن المزدوجين حققوا عملاً مدرسياً أحسن من رفقائهم وحيدي اللسان. وربما تقودنا هذه النتائج، حسب الباحث، إلى افتراض كون المزدوجين قد طوّروا سلوكاً تعويضياً ناتجاً عن الإحساس بعدم الأمن الاجتماعي، وبذلك كانوا متفوقين في الميدان الدراسي.(Fitouri, 1983, P94- 95).

Scanned by CamScanner

ويظهر من خلال الدراسات التي تم عرضها، أنها خلصت في أغلبها إلى انخفاض نتائج المزدوجين في اختبارات الذكاء، خصوصاً اللفظية منها، مقارنة بوحيدي اللسان، مما جعل العديد من الباحثين يتحدثون عن إعاقة لغوية، وأحياناً معرفية تتسبب فيها الازدواجية. والشيء الذي يمكن ملاحظته هو أنه حتى وإن كانت هذه الدراسات قد تحكمت في متغيرات هامة مثل السن والجنس، وأحياناً المستوى الاجتماعي الاقتصادي، إلا أنها لم تستعمل أدوات قياس مناسبة لتحديد درجة الازدواجية لدى المفحوصين. أما بخصوص اختبارات الذكاء المستعملة، فهي غالباً ما تكون غير مناسبة وغير مكيفة للمفحوصين، نظراً لاختلاف خلفيتهم الثقافية واللغوية عن خلفية مجموعة التطبيق الأصلية للاختبار. وبالرغم من كل هذه النقائص، فإنه لا يمكن أن ننكر ما لهذه الدراسات من دور هام في التحضير للدراسات التي جاءت بعدها، والتي استفادت من هذه الانتقادات للبحث عن وسائل وطرق أكثر موضوعية وصرامة، قصد توضيح أحسن لآثار الازدواجية.

1. الدراسات التي أجريت خلال النصف الثاني من القرن العشرين إلى بداية القرن الحادي والعشرين:

عرفت هذه المرحلة تطوراً معتبراً لدراسة موضوع الازدواجية، واهتماماً كبيراً عند الباحثين بمختلف جوانب هذه الظاهرة. كما عرفت هذه الدراسات وجهات نظر تختلف تماماً عن تلك التي عرفتها الدراسات الأولى وأصبح البحث عن الجوانب الإيجابية للازدواجية أو لتعددية اللغات انشغالها الأساسي، وقد انتقدت بشدة نتائج الدراسات

Scanned by CamScanner

السابقة التي نسبت للازدواجية آثاراً سلبية، وأخطاراً على النمو اللغوي وحتى المعرفي للطفل. وتقول الباحثة بن صخار. م Bensekhar M إنه منذ الحرب العالمية الثانية سمحت التغيرات السياسية والاجتماعية، والضغوط الاقتصادية والسلطة التكنولوجية، باعتبار الازدواجية ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها، أو حتى تجنبها، خصوصاً بعد استقلال عدة بلدان.

إن الأمر الذي شغل البحوث الحديثة بشكل كبير هو الاهتمام بالازدواجية عند الطفل، والاهتمام بمختلف آثارها على نمو الشخصية وعلى النمو المعرفي.(BensekharBennabi, 1987, p95- 96). وقبل عرض الدراسات التجريبية التي قامت بمقارنات بين المزدوجين وغير المزدوجين، نقدم أولاً بعض الدراسات التي قدمت سيرورة نمو أطفال مزدوجين.

ـــ دراسة الباحث(1982) Sauanders: قدّم الباحث تقريراً عن النمو المزدوج لأطفاله الذين تعلموا اللغتين الألمانية والإنجليزية تبعاً لمبدأ Grammont، حيث كان كل واحد من الوالدين يتحدث لغته الأصلية مع الأطفال، وخلص الباحث في تقريره إلى أن تعلم لغتين في وقت واحد متزامن، لا يشكل أي خطر على النمو اللغوي للطفل.

ـــ دراسة(1985) Fantini: التي عرض فيها النمو اللغوي المزدوج لابنه(Mario) من الولادة إلى سن 6 سنوات. وكان الباحث يسجل بانتظام لغة الطفل الذي اكتسب في نفس الوقت اللغتين الإنجليزية والإسبانية، وهو يعيش في الولايات المتحدة. وقد أجرى الباحث بعض المقاييس اللغوية مع ابنه بين سن 5 إلى 6 سنوات، أظهرت له أن هذا الأخير يقع في

Scanned by CamScanner

متوسط الأطفال وحيدي اللسان في نفس السن لكل لغة من اللغتين.(Perregaux, 1994, p 43).

وسنعرض أهم الدراسات التجريبية التي أجريت خلال هذه الفترة الطويلة. وإذا كانت بعض هذه الدراسات قد انصب اهتمامها على آثار الازدواجية بشكل عام، إلا أن البعض الآخر درس بشكل خاص، كل بحسب اختصاصه، علاقة الازدواجية بالنمو العاطفي ونمو الشخصية وأيضا العلاقة بالنمو اللغوي والمعرفي.

2- I. الدراسات حول العلاقة بين الازدواجية والنمو العاطفي ونمو الشخصية:

جلب اهتمام بعض الدراسات العلاقة بين الازدواجية والنمو العاطفي، وأيضاً نمو الشخصية حيث طالما كانت مخاوف الباحثين والأولياء أكثر خلال السنوات الماضية(بداية القرن العشرين) من أخطار تعلم لغة ثانية على شخصية الطفل، إذ طالما ساد الاعتقاد بتزامن وجود لغتين بتطوير شخصيتين، أي ازدواج في الشخصية. ومن بين الدراسات التي اشتغلت بهذا الجانب، دراسة مستمرة تقوم بها الباحثة الإيطالية رانزوتيتون (R.Titone) في إطار بحوث قسم علم النفس التربوي بجامعة روما. ويتعلق الأمر بمجموعة من دراسة حالات تهدف إلى استخراج المميزات الأساسية لنمو مزدوج اللغة خصوصاً ما يتعلق بالنمو العادي للشخصية. وتتكوّن عيّنة البحث من 15 طفلاً تتراوح أعمارهم بين 18 شهراً إلى 5 سنوات، مزدوجي اللغة منذ الولادة، وينتمون إلى عائلات يتحدث أفرادها لغات مختلفة، إضافة إلى الإيطالية، وبالتوازي مع هذه الدراسة، تشارك الباحثة في بحث هو في قيد

Scanned by CamScanner

التحقيق أكثر شمولية ومن النوع الإحصائي يتم فيه توزيع استمارة على مئة مفحوص، من الحضانة إلى الثانوية، وذلك قصد مراقبة تأثير بعض الخصوصيات النفسية الاجتماعية على تجربة الازدواجية لدى هؤلاء. والهدف العام من هذه الدراسة هو التطرق بشكل منهجي حقيقي للجوانب الايجابية والسلبية للازدواجية والتوصل إلى خلاصات نفسية تربوية مقبولة وفحص آثار الازدواجية المبكرة على النمو النفسي، وعلى نمو الشخصية بصفة عامة. ففيما يخص العلاقة بين الازدواجية ونمو الشخصية، تصرِّح الباحثة Titone بعدم وجود معطيات تجريبية توضح هذه العلاقة إلا أن أغلب الآراء تعتبر الازدواجية غير مضرة بالشخصية، وإن ظهرت بعض التراعات أو بعض الظواهر الأحرى، فغالباً ما يتعلق الأمر بحدث أو أمر اجتماعي لغوي أو اجتماعي مَرَضي (Titone, 1981).

2.2. الدراسات حول العلاقة بين الازدواجية والتحصيل الدراسي:

جلب اهتمام بعض الدراسات آثار الازدواجية على التحصيل الدراسي، وأهمها بحث ميداني قام به مجموعة من الباحثين خص أطفالاً إسبانيين مغتربين يعيشون في لياج في بلجيكا، وكان الهدف من هذا البحث هو معرفة آثار ازدواجية الأطفال الإسبان المغتربين على التحكم في اللغتين الإسبانية والفرنسية. وتم إجراء اختبارات بالفرنسية والإسبانية، بعضها من النوع المدرسي، والأخرى غير مدرسية تهدف إلى قياس المستوى اللغوي في كلتا اللغتين ومعرفة مدى نجاعة التواصل. كما استعملت، إضافة إلى الاختبارات، تقنية المقابلة

Scanned by CamScanner

لمعرفة المستوى اللغوي للأطفال، من خلال ملاحظة طول الجمل، ووجود تداخلات من الناحية النحوية والمفرداتية.

وقد بيّنت النتائج فيما يخص المقارنة بين المجموعتين المزدوجة والوحيدة اللسان، المنتميتين إلى الوسط الاجتماعي المنخفض، عدم وجود فروق واضحة فيما يتعلق بالمهام التي ليس لها علاقة بالمهام أو الحالات المدرسية، بينما أظهرت الاختبارات من النوع المدرسي، فروقاً لصالح المزدوجين في اختبارات التعريفات والتسمية، في حين يتفوق وحيدو اللغة في الاختبارات التي تتطلب معرفة مضمون اللغة. ويفسر الباحثون ضعف المزدوجين في هذا الاختبار الأخير، بأن قدرة هؤلاء الأطفال في اللغة الفرنسية (إنتاجاً واستقبالاً) ليس لها فرص للتطور إلا في المحيط المدرسي (Lafontaine, Argüelles et al., 1981).

أما البحث الثاني فقد تم إجراؤه بهدف معرفة أسباب مشكلة الرسوب المدرسي عند الأطفال المغتربين الإسبانيين في منطقة لياج (Liège)، وقد تم اختيار مجموعة من المقاييس بهدف تحديد أثر ثلاث مجموعات من العوامل التي يعتقد أن يكون لها دور في الأداء أو النجاح المدرسي. وهذه العوامل هي:

- التوظيف اللغوي الذي تم قياسه بواسطة اختبارات لغوية بالفرنسية والإسبانية.
- التوظيف المعرفي الذي تم قياسه بواسطة اختبار الذكاء لوشلرWechsler، واختبارات التنظيم المساحي، والإدراكي، واختبار الأشكال المعقدة "لري وبندر"(Rey et Bender).

Scanned by CamScanner

ويخلّص الباحثون في مناقشاتهم للنتائج أنه بالرغم من كون الدراسة لم تحدد بشكل تام أسباب الرسوب المدرسي عند تلاميذ الدراسة، إلا أنها سمحت بتوضيح دور القدرات في اللغة الفرنسية، خصوصاً في اللغة الكتابية في التقييم الإيجابي، بالتفاعل مع متغيرات عائلية، منها الاهتمام بالطفل، وحراسة نشاطاته المدرسية، ودور الظروف التي يجري فيها فروضه المدرسية، ويحضر فيها دروسه.(Rondal, Bredard et al., 1982).

ويظهر بوضوح من خلال هذه الدراسات دور المحيط الاجتماعي في تطوير مستوى الكفاءة اللغوية لدى الطفل المزدوج، سواء في اللغة الأم التي يجب الاستمرار في استعمالها مع الطفل حتى يحسن مستواها ويقيّمها بقدر ما يتم تقييمها من قِبل المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه. وكذلك الاهتمام باللغة الثانية عندما تقوم لغة التمدرس بتوفير الظروف المناسبة داخل المترل لأداء مختلف الفروض والأعمال المدرسية.

ودائما فيما يخص العلاقة بين الازدواجية والتحصيل الدراسي، نذكر بعض الدراسات العربية، التونسية خصوصاً، التي اهتمت بدراسة آثار ازدواجية اللغة على التحصيل الدراسي، منها دراسة الباحث عبد العزيز شتاوي الذي قام، أولاً، ببحث ميداني شمل 300 معلم يعملون في ولايتيْ تونس وقابس (Gabes)، بحيث قدمت لهم استمارة تحتوي على ثلاثة أسئلة:

- هل ازدواجية اللغة مفيدةً أو غير مفيدة؟
- هل تؤثر الازدواجية على النتائج المدرسية للتلميذ؟
- هل الازدواجية أحد أسباب إعادة السنة لدى التلاميذ؟

Scanned by CamScanner

وقد تم تصنيف النتائج حسب معيارين: سن المعلم وانتماؤه اللغوي، حيث تنقسم العيّنة إلى مجموعتين: مجموعة المعلمين الذين لا يتعدى سنهم 30 سنة، ومجموعة البالغين من العمر أكثر من 30 سنة. ومن حيث الانتماء اللغوي أيضاً نجد مجموعتين: مجموعة مزدوجي اللغة، ومجموعة وحيدي اللسان حيث قدمت لهؤلاء استمارة للإجابة عليها.فيما يخص التلاميذ، فقد مست الدراسة أقسام السنة الرابعة ابتدائي (السنة الثالثة من التعليم بالفرنسية) وأقسام السنة السادسة من التعليم الابتدائي (السنة الخامسة في دراسة مزدوجة). وتتكوّن كل مجموعة من 120 ذكراً و120 بنتاً، تم تطبيق اختبار كتابي واختبار للمستوى الدراسي. وتظهر النتائج كما يلي:

- نجاح التلاميذ الذين ينتمون إلى محيط اجتماعي اقتصادي مرتفع في الاختبارات المدرسية في العربية وفي الفرنسية.
- حصول التلاميذ الذين ينتمون إلى المحيط المتوسط، والفقير على الخصوص، على نتائج ضعيفة لاسيما في اللغة الفرنسية، مما يشكل لديهم إعاقة تمنعهم من الحصول على نتائج دراسية مقبولة.

كما أظهر تحليل النتائج أن التلاميذ المنتمين إلى الطبقة المتوسطة يتمكنون من تجاوز تأخرهم مع السن، بينما يبقى الفرق بين تلاميذ المحيط الفقير والمحيط الغني شاسعاً جداً ويكبر باستمرار. ويخلص الباحث إلى أن الازدواجية مفيدة عند تلاميذ المحيط المتوسط والغني، لكنها غير مفيدة عند تلاميذ المحيط الفقير. وأظهر تحليل أجوبة السؤال الأول

Scanned by CamScanner

للاستمارة أن مجموعة المعلمين وحيدة اللسان ترى أن الازدواجية غير مفيدة وأن إدماجها المبكر(7 سنوات) يؤدي إلى تعب التلميذ الذي يجب عليه تعلم لغتين، ويؤدي في الأخير إلى عدم تعلم كلتيهما، بينما يجدها مزدوجي اللغة مفيدة، وتسمح بالانفتاح على الدول المتقدمة، وتؤدي إلى الغنى الثقافي. وتصبّ نتائج تحليل أجوبة السؤالين الثاني والثالث في نفس الاتجاه، حيث يتحدث المزدوجون عن الآثار الإيجابية للازدواجية، بينما يراها وحيدو اللسان سلبية وخطيرة، إذ تؤدي إلى الرسوب المدرسي للتلميذ.(Chettaoui,1978 ,p25-53)

والدراسة التونسية الثانية في هذا المجال، قام بها الباحث الشادلي فيتوري الذي انطلق من ملاحظات بعض الباحثين التونسيين الذين يرجعون مشكلات التعلم عند التلاميذ إلى الازدواجية، إذ يقولون إن هذه الصعوبات تظهر عندما يبدأ التلاميذ في تعلم اللغة الثانية. لذلك أراد الباحث التأكد من هذا الادعاء، ومعرفة طبيعة هذه الصعوبات وانتشارها عند التلاميذ،، والتحقق أيضاً إذا كانت هذه الصعوبات سطحية ومؤقتة أو عميقة ودائمة، لدرجة تجعلها، فعلاً، عائقاً لتعلم الطفل.

وللإجابة عن هذه التساؤلات، أجرى الباحث دراسة طولية خصت 551 تلميذاً، تابعتهم الدراسة من السنة الأولى إلى الخامسة ابتدائي. واستعمل الباحث وسيلتين للبحث هما: تقويم المعلمين للنتائج المدرسية لكل تلميذ، ويعبّرون عن هذا التقويم بواسطة علامات هي: (+)، (0) و(-)، حسب طبيعة النتيجة، أي حسنة، متوسطة، أو ضعيفة جداً. أما

Scanned by CamScanner

الوسيلة الثانية فكانت اختبار الفسيفساء لـــجيل Test de mosaïque de Gille المطبق في آخر الدراسة. وقد سمح فحص النتائج بإثبات ما يلي:

- الفرق بين نتائج السنوات الأولى والثانية هو نفسه، مهما كانت المدرسة، المستوى الاقتصادي، أو الطبقة الاجتماعية والثقافية للطفل.
- يظهر أحسن التلاميذ ابتداء من السنة الأولى، ويحتفظون بهذه المكانة حتى نهاية التعليم (من السنة الأولى إلى الخامسة).
- ابتداء من السنة الثالثة، نلاحظ أن المتفوقين من التلاميذ يسجلون ارتفاعاً أو تحسناً أكبر في النتائج، بينما تلاميذ الفئة الاجتماعية الاقتصادية المتوسطة، أو الضعيفة، وخصوصاً الفئة الاجتماعية الثقافية الفقيرة يسجلون ركوداً، وأحياناً تراجعاً في نتائج الاختبار.

بذلك يخلص الباحث إلى أن إدماج اللغة الفرنسية ابتداءً من السنة الثالثة ابتدائي يحدث عند التلاميذ الذين ينتمون إلى الطبقة المحظوظة، ازدهارا حقيقيا، وإنجازا كبيرا لقدراتهم، بينما يؤدي لدى الفئات الأحرى إلى تباطؤ، وإلى تراجع في النمو الفكري في بعض الأحيان (Fitouri C, 1984). ويظهر جلياً من خلال الدراستين التونسيتين، أن الاعتقاد بكون الازدواجية هي السبب الأساس في الرسوب المدرسي عند التلاميذ في المرحلة الابتدائية، اعتقاد خاطئ، حيث أوضحت، وعلى العكس من ذلك، نتائج الباحث فيتوري أن تواجد لغة ثانية خصوصاً مبكراً في المحيط العائلي، تنمي لدى الطفل تفتحاً على العالم الخارجي، وعلى كل الثقافات الأجنبية، وتسمح له بمتابعة تعلم هذه اللغة بسهولة أكثر، من التلاميذ

Scanned by CamScanner

الذين ينتمون إلى وسط وحيد اللسان. كما أوضحت الدراسة أيضاً أن المحيط العائلي يمكن الطفل من تطوير هذا الانفتاح، حتى وإن لم يكن مزدوج اللغة، أو الثقافة، وذلك، على الخصوص، بعدم تنمية اعتقادات ومواقف سلبية نحو كل ما هو أجنبي، لغة وثقافة، وأيضاً بتقييم الثقافة واللغة الأصليتين، لأن الطفل ينجح في تعلم لغة ثانية إذا اكتسب لغته الأولى بشكل جيد، وإذا ترعرع في وسط يرفع من قيمة اللغة والثقافة الأصليتين.

3.2. الدراسات حول العلاقة بين الازدواجية والنمو اللغوي والمعرفي للطفل:

آثار اهتمام باحثين كثيرين آثار الازدواجية على النمو اللغوي والمعرفي للطفل، بمختلف جوانبه، وتبنّت بحوث عديدة دراسة هذا الجانب، إلا أنه من الصعب التفريق بين الجوانب اللغوية والمعرفية، والنفسية للنمو، بصفة عامة، لأنها كلها مرتبطة بعضها بعضاً، وكل ما هو إيجابي على النمو اللغوي يكون إيجابياً أيضاً على النمو المعرفي العام للطفل، نظراً للعلاقة الوطيدة بين اللغة والفكر. ومن بين الدراسات الرائدة للنصف الثاني من القرن العشرين، دراسة الباحثان Peal et Lambert (1962) و Balkan (1970) :

- دراسة الباحثان Peal et Lambert (1962): أشهر الدراسات عن علاقة الازدواجية بالنمو المعرفي للطفل، هي دراسة الباحثان Peal et Lambert (1962) التي كانت من أولى الدراسات التي أجابت إلى صرامة منهجية، سمحت بإجراء مقارنة حقيقية بين مزدوجي اللغة وفريدي اللسان. وقد أعطت هذه الدراسة إشارة الانطلاق نحو جيل جديد من الدراسات عن الازدواجية وآثارها على النمو المعرفي. وقد بدأ الباحثان بتحليل الأعمال والبحوث التي

Scanned by CamScanner

أجريت سابقاً عن الموضوع، وأخذا بعين الاعتبار كل الملاحظات التي قدمها الأخصائيون، المتعلقة بوجود "إعاقة لغوية "أو "خلط عقلي" عند المزدوجين، كما قررا القيام بدراسة تجريبية للبحث عن مدى صحة هذه الخلاصات. وشملت دراسة الباحثين 164 طفلاً اختيروا من المجموع الكلي للتلاميذ، أي من بين 364 تلميذاً، حيث تم اختيارهم من بين التلاميذ البالغين 10 سنوات من عمرهم، وينتمون إلى ست مدارس ابتدائية تتم الدراسة فيها باللغة الفرنسية في مدينة موريال، وتستقبل هذه المدارس أطفالاً ينتمون إلى الطبقة الاجتماعية المتوسطة. وقد اعتمد الباحثان على اختبارات ومقاييس عديدة لتحديد المجموعة المزدوجة، وتمييزها عن المجموعة وحيدة اللسان، اختبارات الربط بين الكلمات: فرنسية-إنجليزية، اختبار الألفاظ الإنجليزية اعتماداً على صور وسلّم تقييم لغوي ذاتي. بذلك تكوّنت العيّنة النهائية للبحث من 164 تلميذاً، 96 ذكراً، و68 أنثى، مقسمين إلى مجموعتين: مجموعة المزدوجين مكونة من89 طفلاً، ومجموعة وحيدي اللسان مكونة من 75 طفلاً (Fitouri. 1983, p 100- 101). وتوصل الباحثان إلى نتائج ذات معنى كبير من الناحية الإحصائية، وكان تفوّق المجموعة التجريبية أي المزدوجة كبيراً في مختلف الاختبارات الجزئية اللفظية وغير اللفظية فيما يخص اختبارات الذكاء.

أما نتائج اختبارات المواقف والتصرفات، فكانت الفروق بين المجموعتين أقل حدة. (Balkan, 1970, p 35 - 36). ويخلص الباحثان Peal et Lambert إلى أن النتائج المرتفعة والمردود العقلي الأحسن عند المزدوجين، هو تعبير عن مرونة معرفية كبيرة ناتجة عن تعوّد الأطفال على التنقل من نظام رموز إلى آخر. وهذه المرونة المعرفية تسمح لهم أيضاً بتحليل

Scanned by CamScanner

دقيق للسمات الدلالية للكلمة.(Hamers et Blanc, 1983, P 91). كما يشير الباحث Fitouri إلى الدور الهام الذي يؤديه المحيط الاجتماعي والثقافي، إذ يقول إن المزدوجين في دراسة Peal et Lambert استفادوا من تجارب هامة، بفضل تعايش ثقافتين مختلفتين، إضافة إلى تأثير ذلك على الناحية المعرفية، حيث منحت التجربة، في نظامين لغويين، هؤلاء الأطفال مرونة عقلية وتفوقاً في تكوين المصطلحات، وتنوعاً في القدرات المعرفية (Fitouri, 1983, p 102).

وقد سمحت دراسة Peal et Lambert أيضاً بتوضيح دور القيم والتجارب التي تحملها اللغات في تطوير المرونة المعرفية لدى المزدوج (Pinto, 1997, p 23).

ورغم ما حملته هذه الدراسة من نتائج هامة، فقد تحت المجال لدراسات أحرى، إلا أنها لم تنجُ من بعض الانتقادات، حيث يشير الباحث Balkan إلى أن أطفال المجموعة التجريبية ينتمون إلى محيط اجتماعي اقتصادي أعلى من المتوسط، كما أن المجموعة الضابطة قد شملت أطفالاً مزدوجين غير حقيقيين مما أحدث لديهم إجحافاً لغوياً مقارنة بالمجموعة التجريبية (Balkan, 1970, p 35 - 36).وكل هذه الانتقادات لا تنسينا مدى تأثير نتائج دراسة الباحثيْن Peal et Lambert في كل الأعمال والبحوث التي أجريت بعدهما في موضوع الازدواجية، إذ كانت دراستهم أولى الدراسات التي حققت، من جهة، صرامة منهجية كبيرة في الدراسة، ومن جهة أحرى، أوضحت الآثار الإيجابية للازدواجية، على المستوى المعرفي لدى الطفل، وفتحت بذلك الباب لدراسات أحرى حاولت اتّباع نفس الطريق. وأهم تلك الدراسات التي تأثرت بشكل واسع بإجراءات ونتائج هذه الدراسة، دراسة الباحث Balkan عام 1970.

Scanned by CamScanner

- دراسة الباحث Balkanعام 1970: لانطلق هذا الباحث في دراسته من نتائج دراسة Peal et Lambert التي بيّنت، كما قلنا سابقاً، فروقاً واضحة بين المزدوجين ووحيدي اللسان في ميادين عديدة، مثل المرونة العقلية، وتكوين المصطلحات، وذلك لصالح المزدوجين. وكان هدف الدراسة التي قام بها Balkan هو تحديد ما إذا كان المزدوجون يختلفون في بعض القدرات الفكرية، عن وحيدي اللسان. وقد اختار الباحث مزدوجين متوازنين ينتمون إلى محيط عائلي يشجع ازدهارهم الفكري، وقارنهم بمجموعة وحيدة اللسان تنتمي إلى محيط اجتماعي له نفس الخصائص. وكلتا المجموعتين حققت نتائج متشابهة في عامل الذكاء العام لسبيرمان (le «g» de Sperman). وكانت فرضية الباحث أن المزدوجين المتوازنين ذوي نفس قدرة الذكاء العام لوحيدي اللسان، يمتازون بمرونة أكبر من وحيدي اللسان. وهذه المرونة تمثل القدرة على إعادة بناء معطيات مشكلة ويتدخل هذا العامل في كل اختبار يضع مشكلة. واختار الباحث كأداة قياس بطارية BASC (بطارية القدرات المدرسية الجماعية) التي تم تطبيقها على عيّنة من التلاميذ، سويسريين وأجانب، في أربع مدارس خاصة بسويسرا الروماندية. وتكوّنت العينة النهائية من 65 تلميذاً مزدوجاً (28 أنثى و37 ذكر)، و65 تلميذاً وحيد اللسان(28 أنثى و37 ذكر) تتراوح أعمارهم بين 11 إلى 16 سنة. ولتحديد المزدوجين وغير المزدوجين، طبّق الباحث مجموعة من الاختبارات هي اختبار استدعاء الكلمات، واستمارة التقويم اللغوي الشخصي، وكذلك ملاحظات المعلمين في كلتا اللغتين، والتي كان الهدف منها التأكد من التقييم الشخصي. وتبيّن النتائج المتوصل إليها أن المزدوجين يتميزون بقدرات فكرية عالية مقارنة بوحيدي اللسان من نفس

Scanned by CamScanner

مستوى الذكاء العام. وقد ظهر هذا التفوق للمزدوجين في مجموعة من الأبعاد وهي المرونة التلفظية والإدراكية. وخلاصة الباحث العامة هي أن الازدواجية التي تطور في محيط اجتماعي يشجع ازدهار الطفل تحمل فوائد عديدة لا يمكن نكرانها. وكلما كانت الازدواجية متوازنة ومبكرة، حملت للطفل فوائد كبيرة مقارنة بوحيد اللسان الذي له نفس قدرة الذكاء العام، والمنتمي إلى نفس المجتمع. ويضيف الباحث بأنه من غير الممكن القول أن الازدواجية يمكن أن تكون مضرة بالطفل، وهذا القول لا معنى له، كما يشير أنه حتى وإن بقيت بعض التساؤلات مطروحة حول إشكالية الازدواجية، إلا أن الدراسة التجريبية التي قام بها والنتائج المتوصل إليها، تظهر مدى ضرورة إدماج لغة أجنبية ابتداءً من الحضانة وتعليمها خلال طول مرحلة التعليم الابتدائي (Balkan, 1970, p64-100). ومن بين الدراسات الأحرى التي بيّنت بدورها الفروق التي بين المزدوجين ووحيدي اللغة، والتي نقدمها بشكل مختصر:

ـــ دراسة(1968) Liedke et Nelson الذي بيّنت نجاح المزدوجين البالغين من العمر 6سنوات في مقام تكوين المصطلحات لبياجي.

ـــ دراسة (1975) Bain التي أظهرت تفوق مزدوجي اللغة، فرنسية ـــ إنجليزية، البالغين من العمر ست سنوات في مهام اكتشاف القواعد.(Hamers et Blanc ,1983, P 91-92).

ـــ دراسة (1972) Iacon-Worall الذي أجرى دراسة على أطفال تتراوح أعمارهم بين 4 إلى 9 سنوات مزدوجين متزامنين، في إفريقيا الجنوبية، وقارنهم بوحيدي اللسان،

Scanned by CamScanner

واكتشف أن المزدوجين لهم القدرة على تحليل اللغة كنظام مجرد، بشكل مبكر مقارنة بوحيدي اللسان(Perregaux, 1994, p68).

ـــ دراسة Cummins et Gulutson (1974) اللذين تمكنا خلال تحليل نتائج دراستهما من إظهار فرقاً إحصائياً واضحاً ذا معنى بين نتائج أطفال مزدوجين، وأطفال وحيدي اللسان بالغين من العمر 12 سنة، وذلك لصالح المزدوجين. وقد اهتمت الدراسة بقياس الأصالة والابتكار اللفظي.

أما الباحث Scott (1973) فقد جلب الانتباه إلى قدرة المزدوجين على ممارسة التفكير المخالف، ذلك ما أكدته دراسة Corringer (1974) التي توصلت إلى نتائج متشابهة خصت أطفال مزدوجين، إنجليزية إسبانية (Hamers et Blanc, 1983, P 92).

أما الدراسات التي توصلت إلى نتائج عكسية للتي ذكرت حتى الآن فهي قليلة جداً، نذكر منها دراسة Tsushmia et Hogan (1975) التي توصل فيها الأطفال المزدوجون البالغون من العمر 10 إلى 11سنة، مزدوجي اللغة، يابانية ـــ إنجليزية إلى نتائج ضعيفة في اختبارات الذكاء،، وذلك مقارنة بوحيدي اللسان من نفس العمر. ودراسة (1976) Kangas et Toukomma التي خصت أطفالاً فنلنديين هاجروا إلى السويد مع عائلاتهم، وقد تحصلوا على نتائج ضعيفة في اختبارات المهارة الشفهية في كلتا اللغتين الفنلندية والسويدية. ويفسر الباحثان هذه النتائج بالفرضية التي تقول، إنه كلما كان الطفل صغير السن في بداية

Scanned by CamScanner

تجربته في الازدواجية، كبر العجز أو النقص في اللغتين. ويستعمل الباحثان مصطلح شبيه الازدواجية أو نصف الازدواجية، لوصف هولاء الأطفال(Hamers et Blanc,1983, P 93).

خلاصة:

ويظهر من خلال الدراسات المختلفة التي قدّمت في هذا المقال أنه إذا كانت الدراسات التجريبية التي أقيمت في النصف الأول من القرن العشرين، قد أكدت أن الازدواجية تؤدي إلى صعوبات ومشاكل في الشخصية، وإلى تأخر لغوي ومعرفي، فان الدراسات التي أقيمت خصوصاً ابتداء من الستينيات قد توصل أغلبها إلى نتائج تؤكد على التأثيرات الإيجابية للازدواجية على نمو الطفل في شتى جوانبه خصوصاً الجانب اللغوي والمعرفي. وقد استفادت الدراسات المقارنة الحديثة كثيرا من الانتقادات المنهجية التي قدمت إلى الدراسات الأولى من أجل تحسين طرق البحث واختيار أدوات قياس مناسبة، وبذلك تم التحكم بشكل أحسن في متغير الكفاءة اللغوية، وفي تحديد مفهوم الازدواجية، وتم اختيار وسائل قياس في مختلف اللغات، وإعادة تقنينها في اللغات التي يتحدثها المفحوص. ولم يسمح كل ذلك بنفي كل الاعتقادات السلبية التي تم تكوينها نحو الازدواجية فقط، بل سمح أيضاً باكتشاف دور عوامل أحرى أهمها، المستوى الاجتماعي الاقتصادي والثقافي، خصوصاً الاعتبار الذي يُنميه المحيط العائلي والاجتماعي نحو اللغة الأولى، وكذلك اللغات الأجنبية مما جعل الباحثين يؤكدون على ضرورة الاكتساب الجيد للغة الأم، وتقديرها ثقافياً واجتماعياً حتى يتمكن الطفل من تقبّل اللغة الثانية وتعلمها بشكل أحسن وأسرع. وقد سمحت أيضاً بمعرفة مدى تأثير الازدواجية على النمو المعرفي بجوانبه المختلفة، الذكاء، التفكير المخالف، المرونة العقلية، والإبداع.

Scanned by CamScanner

المراجع:

- Balkan .L. (1970).Les effets du bilinguisme français-anglais sur les aptitudes intellectuelles .AIMAV, Bruxelles.
- Bensekhar Bennabi .M.(1987).Genèse et usage des relations spatiales dans le bilinguisme précoce. Thèse de doctorat non publiée, Université de Paris X , Nanterre.
- Chettaoui. A.(1978).Le bilinguisme dans l'enseignement primaire en Tunisie . In Bulletin de psychologie, n°335.tome31(fasc.10-11).p521-535.
- Fitouri .C.(1983).Biculturalisme, bilinguisme et éducation , Délachaux et Niestlé .Neuchâtel .Paris.
- Fitouri .C.(1984).Biculturalisme, bilinguisme et réussite scolaire en Tunisie , In Perspectives .Vol.XIV, n°1 , P 77-87.
- Fuhrer-Nicod .V.B.(1994).Recherche sur le bilinguisme franco-allemand chez les jeunes enfants. Presses Universitaires de Reims.
- Hamers.J.F.etBlanc.M.(1983), Bilingualité et bilinguisme. Ed. Pierre Mardaga .Bruxelles.
- 8-Kail.M.et Fayol. M.(2003). L'acquisition du langage. Le langage en émergence.De la naissance à 3ans .2me éd.. PUF .Paris.
- Lafontaine.D. , Arguelles , M.et al..(1981).Bilinguisme et scolarité: une enquête sociolinguistique sur les enfants espagnoles des écoles primaires liégeoises. In PsychologicaBelgica .Vol.XXI , n°1.p 41-63.
- Perregaux , C.(1994). Les enfants à deux voix .Peter Lang.
- 11-Pinto .M.A.(1997) , Capacités métalinguistiques , bilinguisme et acquisition des langues étrangères. In L'enseignement du français langue étrangère .Bilan et perspectives. édité par Elisabeth Calaque. LIDILEM.
- Rondal , J.A. .Bredart.S. et al.. (1982). Bilinguisme et réussite scolaire chez les enfants d'immigrés espagnols de la région liégeoise. In PsychologicaBelgica .vol. XXII , n°2.p 121-142.

Scanned by CamScanner